

## نفحات القرآن

[137] النبي إبراهيم ( عليه السلام ) المقدم والمكسر للأصنام بالقدوة في الدفاع عن قضية التوحيد ومحاربة الشرك محاربة لا هوادة فيها حيث قالت : ( قد كانت لكُم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه ) ثم تقدم توضيحاً عن الأسوة الحسنة هذه بقوله تعالى : ( إذ قالوا لقومهم اننا براءؤا منكم وممّا تعبدون من دوننا ) وأضافت - للتأكيد المضاعف - ( كفرنا بكم ) . إن الكفر بالأشخاص يعني إعلان البراءة منهم ، لأن هذه المفردة ( الكفر ) ذات معان خمس حسب الروايات الإسلامية ، أحدها كفر البراءة ، ولم تكتف بذلك بل أضافت : ( وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بما وحده ) . وإن هذه التعابير ( البراءة أو لا ثم إعلانها ثم الإعلان عن العداوة الدائمة ) لشاهد صريح على صلابة الموحدين تجاه القذرين المتلوثين بالشرك وعبادة الأوثان ، وحينما نلاحظ أن القرآن يذكر كلام النبي إبراهيم وأتباعه كقدوة للمسلمين فإن ذلك يعني أن الإسلام لا يعرف أيّة مهادنة بين التوحيد والشرك في أيّة مرحلة . ومن التعمق في تعبير الآية تنكشف الأهميّة البالغة لهذه القضية ، فالتعبير بـ ( قومهم ) دليل على أن غالبية القوم هم من عبدة الأصنام وأن الموحدين قليلون ، ويبدو أن هذا الحوار جرى في ( بابل ) ، التي هي مركز عبدة الأصنام في ظل سلطة الطاغية ( النمرود ) ، ولم تعتمد هذه المجموعة الصغيرة المؤمنة إلى مسaire الوضع السائد ، ولم تعمل بالتقيّة تجاه المشركين في مسألة التوحيد . فمن جانب تقول : ( نحن بريؤون منكم ) . ومن جانب آخر : ( كفرنا بكم ) . ومن جانب ثالث : ( نتبرأ من أصنامكم ) . ومن جهة رابعة : ( اننا نعتبركم أعداء لنا ) .